الوسائل العمليّة للسّعادة الزوجيّة

تأليف: د. محمد هشام طاهري

نسخة أولية غير نهائية

الحمدُ لله الّذي جعل المودّة بين الزّوجين، أحمدُه سبحانه أوجد الألفة بين المحِبَّين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ؛

فهذه رسالة ألفتها للزوجين خصوصًا، وللبيوت المسلمة على وجه عموم، لتكون من الوسائل العملية المفيدة للسعادة بين الزوجين، وفي البيوت، وسميتها:

الوسائل العمليّة للسّعادة الزوجيّة

وتجدُ فيها: (السعادات الوقتية)، (ربط السعادة بالجاه والمال)، و(السعادة المنشودة)، ثم على الترتيب: (أرضية السعادة)، (ركنا السعادة الزوجية)، (الجدران الأربعة لبيت السعادة)، ثم (أبواب السعادة)، و(حِمَى السعادة)، و(مِدَادُ السّعادة)، وصلبُ الرِّسالة في (أسباب السعادة = ٢٦ سببًا)، والخاتمة والتوصيات.

واللهَ تعالى أسأل أن ينفع بها، وأن يبارك فيمن قرأها، أو نشرها، أو طبعها، أو استفاد منها، ونبدأ على بركةِ الله تعالى، ونسأله تعالى أن يمدنا بمدده، وأن يسددنا بتوفيقه، وأن يعيننا بفضله.

إنّ السعادة بحاجة إلى معرفة، وتدقيق، وتشخيصٍ، لا سيما ما كان بين الزوجين، وما يكون في البيوتات؛ فما هي السعادة؟

(السعادات الوقتية)

هل السعادة هي لذة عابرةٌ تكون في مطعوم كما هو حال الأطفال!؟

هل هي السيطرة والتملك كما هو حال بعض الحيوانات؟

هل السعادة طربٌ وسماعٌ يأخذ بالآذان كما هو حال أهل الطرب والغناء، ثم إذا انتهى ساعة لهوهم؛ كأنهم في سكرتهم يعمهون؟

هل السعادة روائحُ تُشَمُّ ثم تسبب الحساسية في الأنوف ومجرى الهواء في الإنسان؟

هل السعادة في رؤية مناظر عيانية ثم تصبح ذكريات في الأذهان خيالية؟ ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

إن السعادة ليست في أمورٍ تنقلب إلى أضداد!؟ فالطعام ينقلب إلى ضدٍّ مكروه، والسياحة والمناظر إلى إسرافٍ وضياع مالٍ ممقوت... ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

(ربط السعادة بالجاه والمال)

إن الذين يربطون السعادة بالجاه والمال ما عرفوا حقيقة معنى السعادة؛ لأنهم ربطوها بالشهوات البهيمية فقط، وجعلوها أساسًا في حياتهم اليومية، وبناءً على الجاه والمال والشرف والنسب والحسب حسبوا السعادة بهذه الموازين، وبناء على ذلك لا نستطيع أن نتكلم معهم إلا بموازين أرضية طينية وقتية؛ فالسعادة التي يريدونها هي سعادة الفم، سعادة البطن، سعادة الفرج، سعادة الهَوَى، سعادة المُجْرَيات!؟!؟ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران].

(السعادة المنشودة)

إن السعادة التي نتحدث عنها، وعقدنا لها هذه الرسالة، وهي **(السعادة المنشودة)** هي السعادة الدائمة، السعادة المثمرة، السعادة المنتجة، السعادة التي تكون زُلْفَى وقربى إلى الله تعالى، السعادة التي لا تنقلب إلى مَكْرُوه؛ لأنه لا ضِدَّ لها؛ بل هي حياة طيبة آنية، وحياة طيبة آتية، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

السعادة التي نريد أن نتحدّث عنها هي سعادة لا تضرُّ أحدًا، وتنفع صاحبها، وبهذا المنظور لا يمكن أن نجد سعادة إلا في العبودية لرب البرية تبارك وتعالى، وهي في الدنيا في أمرين:

الأول: العِلم، والإيمان، والصلاح، والتقى...إلخ، مما هو تبَعٌ للعلم النافع.

الثاني: العمل الصالح، العبادة، الذِّكْر، الخُلُقُ الحسنُ...إلخ، مما هو تبعٌ للعمل الصالح.

وعلى ضوء هذين الأمرين نفهم حديثَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا؛ إِلَّا ذِكْرُ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ، أَوْ مُتَعَلِّمٌ**» [رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ].

وجاء عن كعبِ الأحبار رحمه الله: (الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ؛ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا؛ إِلَّا مُتَعَلِّمَ خَيْرٍ، أَوْ مُعَلِّمَهُ).

(أرضية السعادة)

إن هذه السعادة التي نتحدث عنها؛ أصلها، وأرضها، وصلابتها التي عليها ستبنى بيتها، وبنيانها: **(الدِّين و الخُلُق)**، ومِن هنا نفهم معنى الحديث المتفق عليه: عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى أَرْبَعٍ خِلَالٍ: عَلَى دِينِهَا، وَعَلَى جَمَالِهَا، وَعَلَى مَالِهَا، وَعَلَى حَسَبِهَا، وَنَسَبِهَا، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ**».

وفي رواية مسلم: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**».

وذات الدين وصاحب الدِّين وحده لا يكفي لأنّ هذا خبرٌ عن علاقته بربّه، حتى يكون معه (خُلُقٌ)، وهذا ما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ؛ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا، تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**» [رواه الترمذي، والحاكم، وقال: (صحيح الإسناد)].

ومِن أعظم معاني الخلُقُ (**الأمانة**) وفي رواية ابن هرمز مُرْسلًا: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ وَإِنْ كَانَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». [رواه سعيد بن منصور].

وهذه الرواية وإن كانت ضعيفة؛ لكني ذكرتُها لأنها تفسِّر معنى (**الخُلُق**)، وتبيّن أصله.

تنبيه علمي: وذِكْرُ المرأة، وذِكرُ الرجُل: إنما هو مِن باب الورود والخبر، وليس من باب حصر الحُكمِ في الخبر.

لماذا إذا كانت العلاقة بين الزوجين قائمة على الدِّين والخُلق كان البيت سعيدًا؟

لأن كلّا منهما لا ينظر إلى السعادة بمنظور أهل الدنيا، وإنما ينظران إلى السعادة بمنظور أهل الآخرة؛ فهما يريان أنّ الدّنيا ليست بدار مستقر؛ بل هي دارُ ممرّ؛ فلا يبالون بها، ولا يلتفتون إليها، إلا بقدر الزّاد، الذي به لا يحتاجون إلى أحدٍ من العباد؛ وإنما سعادتهما،

وحياتهما، وكمالهما في الدّين والخُلق؛ فإذا نقص دينهما، أو ساء خلقهما، ساءت حياتهما، وإن زاد دنياهما، وإن زاد دينهما، وزاد حُسْنُ خلقهما، زادت سعادتهما، ومِن هذا المعنى ما جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: (لا أَمَلُّ ثَوْبِي ما وَسِعَنِي، ولا أَمَلُّ زَوْجَتِي ما أَحْسَنَتْ عِشْرَتِي، ولا أَمَلُّ دَابَّتِي ما حَمَلَتْ رِجْلِي؛ إنَّ المَلَالَةَ من سَيِّءِ الأَخْلَاقِ) [الترغيب والترهيب للأصبهاني].

وقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (إِنِّي لَأَعْصِي اللهَ؛ فَأَرَى ذَلِكَ فِي خُلُقِ دَابَّتِي، وَامْرَأَتِي) [الداء والدواء لابن القيم].

ولنتأمل في سبب نزول آية التخيير في سورة الأحزاب؛ كما جاء في حديث جَابِرٍ رضي الله عنه، وفيه قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا...، وَقَالَ: «**هُنَّ حَوْلِي، كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ**»؟ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا لَيْسَ عِنْدَهُ؟! فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ. ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ}** حَتَّى بَلَغَ: **{لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا}**، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ**؟» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ،

قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ، وَرَسُولَهُ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ. قَالَ: «**لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**» [رواه مسلم].

إذن السعادة الزوجية لا تأتي مِن فراغٍ؛ بل هي (**صناعة**) تعتمد على أسس إيمانية دينية، وعمليّة خُلُقيّة.

وقد عرفنا -مما سبق- أرضيتها، وأصلها، وأساسها؛ فلنتعرف الآن على أركانها.

(ركنا السعادة الزوجية)

إن للسعادة الزوجية ركنان عظيمان، وهما أساس البنيان، وعليهما تواصل الزوجان، وتقوية علاقتهما الآن وفيما يُستقبل من الأيام والأحيان، وهذا الركنان هما:

١- **تفاعلُ الزوجين بالموجَبَات**= الموجب.

٢- **تركُ الزّوجين السلبيّات** = السالب.

وكما لا إضاءة للأنوار الحسية في البيت إلا بسلك كهرباء فيه موجبٌ وسالب؛ فكذلك لا إضاءة للأنفس الزوجية إلّا بسلك فيه موجبٌ وسالب؛ فتجد البيت منوّرًا، والإضاءة هي الغالبة، والأنوار هي الساطعة.

فالواجبُ على كل زوجٍ تنمية الأمور الوجبة في نفسه، وفي زوجته، وعلى كل زوجة تنمية الأمور الموجبة في نفسها، وفي زوجها، وبعد كلّ منهما عن الأمور السلبية؛ بل لا ينبغي ذكرُ

الأمور السلبية إلا بقدر العلاج، وبقدرِ التنبيه، وبلطفٍ، وإيماءٍ إن أمكن، أو بتصريح إن لم يمكن.

وتنمية الموجبَات يزيد في العطاءات، وذِكرُ السّلبيّات يقلّل العطاءات؛ بل ويجفِّفُ المعطيات، ويُشقِّق في النفسيّات.

(الجُدْرَان الأربعة لبيت السعادة)

إن بيت السعادة لا يتم إلا بأربعة جدرانٍ، ومتانة هذه الجدران، وضعفها، أو صلابتها، أو هشاشتها، مبنية على قوة وهشاشة هذه الأمور الأربعة، وهي:

١-**التديُّن**، فالتّديّن الجدار الأول من جدران بيت السعادة، ومن ذلك أداء بعض العبادات في البيت، مثل صلاة النافلة، قيام الليل، قراءة القرآن، إقامة مجلس ذِكرٍ، حتى لا يكون بيتًا خربا، وعلى هذا المعنى نفهم حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ**». [رواه الترمذي (٢٩١٣)، وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ].

والبيت الذي ليس فيه تديُّنٌ؛ فهو بيتٌ خَرِبٌ باعتبار أن أحد جدرانه مهدوم أو معدوم.

٢- **الخُلُق**، فإنّ الخلُق هو الجدار الثاني من جدران بيت السعادة، وعُظْمُه مَبْنِيٌّ على الحِلمِ والإنصاف، ويدل لهذا حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

عليه وسلم: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»، أَوْ قَالَ: «**غَيْرَهُ**» [رواه مسلم].

٣- **الرِّضا بالقضاء**، فإنّ الرّضا بقدر الله تعالى هو الجدار الثالث من جدران بيت السعادة، ومَن رضي بالقضاء كان سعيدًا في قلبه، ولو كان مريضًا في بدنه، كان سعيدًا في نفسه، ولو كان فقيرًا في يده، كان سعيدًا في بيته، ولو كان ممن لا يُبَالَى به، كما جاءَ في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن: ١١].

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (هي المُصيبات تُصيب الرجل، فيَعلَم أنها من عند الله، فيُسلِّم لها ويرضى).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (يَهْدِ قلبه لليقين، فيَعلَم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه).

٤- **استخدام المتاح المباح**، وهذا الجدار الرابع المتم لبيت السعادة؛ فمتى ما اهتم الزوجان بالمتاح المباح، ولم يتطلّعا إلى ما ليس بمتاح، ولا إلى ما ليس بمباح، كانا قد أتما هذا الجدار، وعليه نفهم حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ؛ فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ، إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ**

مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} إِلَى قَوْلِهِ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}» [رواه مسلم].

وهذا يعني أيضًا: أن المتاح المباح يطلبه كما أمره ربه، ويستعمله كما أمره ربه، عَنْ مُعَاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَنَعَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَحَبَّ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ تَعَالَى، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ**» [رواه أحمد، والترمذي، والحاكم، **وقال**: (**صحيح**)].

وللحفاظ على بنيان جدران السعادة فإن المؤمن والمؤمنة يعيشان في نشوةٍ من السعادة حينما يعاملان الناس بأخلاقهما، ولا يُعاملان الناس بأخلاقهم؛ فيترفعان عن الرذائل، ويأبيان السِّفَال، ويطمحان إلى المعالي، ويعملان بالعوالي، كل ذلك تقوية لجدران سعادتهما؛ كما في حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه مرفوعًا قَالَ: «أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ مَنَعَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ» [رواه أحمدُ، بإسناد ضعيف، ومعناه له شواهد].

(أبواب السعادة)

إنّ لبيت السعادة أبوابًا، وهذه الأبواب قد تكون واسعة، وذلك بحسب حال الزوجين منها، وقد تكون ضيقة بسبب قلة الزوجين منها، أو معدومة بسبب انعدام أحدِ الأبواب، وهذه الأبواب للسعادة الحقيقية ثلاثة:

١-**الشُّكْرُ**، والحمدُ، وتذكُّرُ النِّعم، فبالشكرُ تزدادُ النِّعم، وتُثمرُ العطايا، وتنتج الأعمال، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾.

٢-**الصَّبرُ**، والاحتسابُ، واليقين بالابتلاء؛ فمن علِم أنه في دار الكَبَد لم يبال بأيّ أحدٍ؛ بل همُّه كيف النجاح في الامتحان، وفكره كيف الامتياز في الابتلاء؛ فيعلم أنه مهما تقلبَ فهو إلى أن يموت في دارِ البلاء حتى يلقى ربه فيكون مع الرَّفيق الأعلى في الجنان العليا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وفي حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وسلم: «**وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**» [رواه أحمد، والحاكم، وقال: حديثٌ كبيرٌ عالٍ...].

وقال العلامة ابنُ القيم رحمه الله في زاد المعاد: (وَقْعُ المقدور مكتنفًا بأمرين: التوكل الذي هو مضمونُ الاستخارة قبله، والرِّضا بما يقضى الله له بعده، وهما عنوانُ السعادة).

٣-**الاستغفار**، والتوبة؛ فإنّ الذنب مُؤثِّرٌ على جدران السّعادة، والذّنب يُغطِّي الفضائل، ويُنتِج الرّذائل، والاستغفارُ مُجلٍّ، ومُنَظِّفٌ، ومُزِيلٌ للآثار السيئة المؤثرة على النفس والبدن، وجالبٌ للمودة والرحمة بين الزوجين، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في أول القواعد (٤): (أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركا أينما كنت، وأن يجعلك ممَّن **إذا أُعْطِيَ شَكَرَ، وإذا ابْتُلِيَ صَبرَ، وإذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ**، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة).

(حَمَى ووِقَاية السّعادة)

إنّ لبيت السعادة الزوجية حِمًى، ولا بدّ أن نتأمّل في هذه الحِمَى، وهذه الوقايات، لنزيدها، ونقويها، وحِمَى السَّعَادَة الحقيقية ثلاثة:

١. **المسكنُ الواسعُ**، الذي يسعك، ويسع أهلك، ولا يكون ضيّقًا عليك؛ فمتى ما قدرت على أن توسّع فلا تقصر، ومتى ما قدرت على السّعة فاجتنب الضيقة.

٢. **الجارُ الصالح**، وهكذا الصاحب الصالح، الذي يذكِّرُ بالله تعالى، ويُصلحك، ولا يفسدك، والذي يعينك ولا يُعطبُك، وهكذا الجارة الصالحة التي تعين ولا تُهين.

٣. **المركبُ الهنيء**، الذي يُيَسَّرُ به أمورك، وتقضي بها حوائجك.

ونفهم هذه الأمور الثلاثة مِن حديث نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ: الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ**» [رواه البخاري في الأدب المفرد وغيره، وقال الألباني: صحيحٌ لغيره].

وفي لفظ أبي مُسْهِرٍ بسنده عنه: «**ثَلَاثُ خِصَالٍ مِنَ السَّعَادَةِ لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا: الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ**».

(مِدَادُ السَّعادة)

إنّ الذي يمدُّ الإنسانَ بالسعادة أمورٌ أربعةٌ، وهي بحسب مُسْتَخْدِمِها، وبحسب حالِه؛ مِثْلُ السِّيف يمدُّ المقاتل بالقوة والشجاعة؛ ولكنّ تأثيرها بحسب الضّارب؛ فمدادُ السعادة:

١. **الحياة**، ولولا الحياة لما أمكن إيجاد السعادة؛ فالعُمُرُ مِدادٌ يأمل الإنسان فيه السعادة، وما أكرمنا الله تعالى بالحياة الدنيا إلا لأجل أن نسعد بعبوديته، وأن نفرح بعباده، وأن نتشرف بطاعته، وأن ننال سعادة العمر الحقيقي، والحياة الحقيقية في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

٢. **العِلمُ**، فالعالِمُ أسعدُ مِن الجاهل، وإن كان الجاهلُ في جهله قد يرى السعادة، ويجدها، بمنظورات أخرى، ومما يدل على ذلك أن الطّبيبَ أسعدُ بالصحة لعلمه بالطّب، ولكن هذا لا يعني أنه معافًى أبدًا؛ لأنه قد لا يعمل بطبِّه فيمرض، أو تأتيه العوارض فيعطب، وهكذا العالِمُ الأصلُ فيه السعادة لتعامله مع ربّه.

٣. **العافية في البدن**، وقد يجد ناقص العافية السعادة من جهة أخرى.

٤. **سعة المال**؛ فالغنيُّ أسعدُ من الفقير من جهة ذات اليد، ومقدرته على الأعراض والأعواض والبيع والشراء، وإن كان الفقير قد يرى السعادة، ويجدها، بمداد آخر.

وهذه الأمور الأربعة لما كانت مداد السعادة؛ فهي أول ما يُسألُ عنها المسلم عند قيامه من قبره، يوم نشره وحسابه، كما في حديث معاذ بنِ جبلٍ رضي الله عنه مرفوعًا، قَالَ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اللهِ عز وجل حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ، عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ**» [رواه البزار، بإسناد حسن].

(مفهوم السعادة عند المؤمن)

إنّ مفهوم السعادة عند المؤمن هو: (طمأنينةُ القلب، وانشراحة الصدر، ومسكنة النفس، وزيادة الحسنات، والتوبة من السيئات)، هو: التفاهم، والتناغم، والتعايش، والاحترام المتبادل، والودّ من الجانبين.

ومعرفة كيفية التعامل حال المُشكلات، وحلها مهما كانت المعضلات، تقول الفقيهة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً! وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى!** قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ: **أَمَّا إِذَا كُنْتِ**

عَنِّي رَاضِيَةً؛ فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا، وَرَبِّ مُحَمَّدٍ! وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى، قُلْتِ: لَا، وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ. قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ» [متفق عليه].

(أسباب السعادة)

١. **الإيمان**؛ فالسعادة بلا إيمان كسابحٍ في بحرٍ خضمٍّ يقرب أن يغرق لأنه لا يجد سفينة النجاة، ومن حقّق الإيمان وجد السعادة، حتى إنه لربما يكون أفقر الناس لكنه سعيد، وفي أضيق مكانٍ لكنه سعيدٌ، وفي أبعد مكانٍ لكنه سعيد، قال الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

ولأجل هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: (ما يفعلُ أعدائي بي، قتلي شهادةٌ، ونفيي سياحة، وسجني خلوة).

والمؤمنُ يجد في الخلوات من السعادة والمُؤْنِسات ما يجعله لا يحبُّ الجلوات؛ لأنه في سعادة لا يريد قطعها، وفي فرحٍ يريد استدامتها، قال ابنُ المبارك وغيره: (لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف).

٢. **العملُ الصالح**؛ فإنّ العملَ الصالح منتجٌ ومؤثرٌ على روح الإنسانِ وبدنه، مما ينتج عنه السعادة؛ بل العملُ الصالح يضع عن كاهل الإنسان كثيرًا من الشقاوات، ويُبْعِدُ عنه كثيرًا من المَحْزُونَاتِ، ويجعله في أمنٍ مِن كثيرٍ من المَخُوفات.

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: **{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}**: (ولكن الشّأن كل الشأن في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده، فهذا هو عنوان السعادة، ومنشور الولاية، وهو الذي إذا لم تتصف به النفوس حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة، كما أنها إذا اتصفت به فهي الرابحة على الحقيقة، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع، وهو الذي خلق الله له الخلق وأمرهم به).

٣. **الإنصاف**، وهو من الإيمان، بل ومن أعظم أعمال الإيمان، ولهذا كل منصف فهو سعيد، وكل جائر فهو شقي، ولهذا قَالَ عَمَّارٌ رضي الله عنه: (ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ) [علقه البخاري].

٤. **تعامل الناس بما تحب أن تُعَاملَ** به، قال الله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ**﴾ [الرحمن: ٦٠].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟**»، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي؛ فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ: «**اتَّقِ الْمَحَارِمَ، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ، تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**» [رواه الترمذي، وقال: حديثٌ غريبٌ].

٥. **حبُّك يكون لله تعالى، وبغضك يكون لله تعالى**، وبذلك تنال السعادة؛ فإن القلب إذا تعلق بالله تعالى نال السعادة؛ فأصبح صاحب القلب مرتاحَ البال، غير مبال في الحال، ولا

متخوف من سوء المآل؛ بل يعلم أن ما عند الله خيرٌ للأبرار، فهو يعلق كل محبوب بحبه لله تعالى، قال ابن القيم رحمه الله في الداء والدواء: (وَالْمَحَبَّةُ الْمَحْمُودَةُ: هِيَ الْمَحَبَّةُ النَّافِعَةُ الَّتِي تَجْلِبُ لِصَاحِبِهَا مَا يَنْفَعُهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ هِيَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ، وَالضَّارَّةُ: هِيَ الَّتِي تَجْلِبُ لِصَاحِبِهَا مَا يَضُرُّهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَهِيَ عُنْوَانُ الشَّقَاوَةِ) [الداء والدواء].

ويدلّ على هذا حديثُ أبِي أُمَامَة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**» [رواه أبو داود بإسناد حسن].

٦. **التركيز على الإيجابيات**، وأن يعرف العبد أنَّ حَياتَه عُمُرُه، فيحرص على استغلال كل لحظة فيها لمصلحة (عداد حسانته)، ويركّزُ على هذا الجانب؛ فيصبحُ يومُه كلُّه عملٌ في الأمور الإيجابية، وانشغالٌ بالحسنات، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [رواه مسلم].

٧. **عدم الالتفات إلى الزلّات**، وعدم تتبع العثرات، والتركيز على الحسنات، وما في كلٍّ من الثوابت والكمالات؛ فمن تغافل عن الزّلّات، وأقالَ العثرات، لم تكدّر عليه اللحظات والسّاعات، وعلى هذا نفهم حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟» [رواه مسلم].

٨. **معالجة أسباب القلق**، والتعامل مع المشاكل الزوجية بوصفها (أقدارًا)، لا بوصفها "مؤامرة"، ومعالجة المقدور بالشرع المبرور، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ١٢٩]، وقال سبحانه: ﴿**إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ**﴾ [النساء: ٣٥].

٩. **توطين النَّفس على احتمال الأذى**؛ فالزواج ميثاق غليظ يتطلب نفساً صبورة؛ فعند حدوث غضب من الطرف الآخر، لا ترد الإساءة بمثلها، ولكن قابل الإساءة بالإحسان؛ لأنها تنقلب إلى مودة وتلاحم ومحبة ووداد، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾**﴾، والآية في غير الزوجين؛ فكيف بالزوجين إن عملا بذلك!؟

١٠. **تركُ التَّوقُّعات المثالية**؛ فالسعادة ليست في عدم وجود المشاكل، بل في طريقة التعامل مع المشاكل، والكمال عزيزٌ، والثباتُ على شيءٍ أعزّ، ولكنّ الإنسان يكتفي بالفضلة، ولا ينبش الركب والسرعة، لا سيّما ممن لا يقدرُ، أو ممن عجز أو تضجر، قال الله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: (يقول: ما أَتَوْك به من شيءٍ قليلٍ أو كثيرٍ فاقْبَلْهُ منهم) [تفسير ابن جرير].

١١. **معرفة نَفْسِيَّة مَن أمامك**، والتعامل معه على ذلكم المنوال؛ فتقبل الطبيعة البشرية للطرف الآخر بضعفها وقوتها، وحلمها وطيشها، يجعلك سعيدًا لأنك تعرف كيف تتصرف، وعلى هذا دلّ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا**» [رواه مسلم (١٤٦٨)]، والمرأة إنما لا يمكنها عدم الاستقامة على منوالٍ واحدٍ؛ لما تعتريها من الأحوال النفسية، بسبب طبيعتها البشرية، بسبب الدورة الشهرية (الحيض)، وبسبب (الحمل)، وبسبب (الرضاع)، وبسبب (أعباء البيت)، وبسبب (الضعف البشري)؛ فهي قد تخافُ حتى من فأرة، ولا تقدرُ على التعامل معها.

١٢. **صرف الذهن عن التفكير فيما يقلق**، وعدم الانشغال بالمستقبل؛ بل يعمل ليومه كأنه يموت غدًا، ويتوب عن أمسه دومًا وأبدًا، ويستعدّ لغده بصالح عملٍ إن بقي ولا يبقى سرمدًا، وتفكير العبد في المستقبل، والانشغال بالهموم والغموم، إنما هو من باب القلق، **ويريد الشيطان أن يُعيشَ الإنسان في القلق، بتذكيره بما كان، وانشغاله بما سيكون، ليُشغله عما هو كائنٌ**، والتفكير فيما مضى يُحزن ويُدخِلُ في الحزن، والتفكير فيما يأتي يُخوِّفُ، ويُدخِل في الخوف؛ فلا تفتحوا ملفات قديمة، أو أمورًا ماضية، وزلّات غابرة،

وأحداثٍ سابقة، عِشْ يومك مع شريكك، واجعل (**اليوم**) هو مساحة الحبّ، والعمل المشترك، ولا تترك الماضي أو المستقبل يفسد لحظاتك الحالية، وإنما عليك تذكّر الفضائل، وإعظام جميل الخصال، قال الله تعالى: ﴿**وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ**﴾ [البقرة: ٢٣٧].

١٣. **الاشتغال بعمل الخير للغير مِن أسباب السعادة ودرك الخير**؛ فينبغي الانشغال بالخيرِ، سواء في البيت؛ فإنه يُسببُ السعادة بصَيْت، وهذا معنى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**» [رواه مسلم]؛ ففي الحديث ذكرُ ستة أعمالٍ خيرية يمكن بذلها للغير لتحصيل السعادة النفسية والبيتية والاجتماعية، وفيها بيان طريق السعادة بالعلم، وتحصيلها ودركها في بيوت الله تعالى، وفي مجالس الذِّكر وحلق العلم، ونزول الملائكة بالخيرات، وذِكرُ الله تعالى لهم بالرَّحمات.

١٤. **العطاءُ نبعُ السعادة**؛ فمن مدّ يده مرّة مُدّ له يدك مرّتين، ومَن احترمك شيئًا احترمه أكثر، ومَن أحبَّك أحبّه أكثر، ومَن أعطاك أعطه أكثر، لا سيما الزّوجة والأولاد؛ فالسعادة تنبع من العطاء، وتنمو بالتبادل والإنماء، واجعل البيت بيئة للخدمة المتبادلة، وعندما يبحث كل طرف عن كيف يُسْعِدُ الآخر، بدلًا مِن كيف يأخذ حقّه، تتحقق السعادة التلقائية، ألا ترى أنّ الأُمَّ تُعْطِي اللَّبَن لابنها الرضيع فيسعدُ وتسعدُ الأم، وهكذا الزوجُ يعطي الزوجةَ فتسعدُ ويسعد هو، والمرأةُ تعطي الزوجَ فيسعد وتسعد هي، وعلى هذا المعنى نفهم حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**» [رواه مسلم].

١٥. **الاشتغال بما ينفع**، وترك ما لا ينفع؛ ألا ترى أن صحتك تتضرر مِن كثرة الجلوس أمام الهاتف والتلفزيون وأن صحتك تتردى، بخلاف ما لو تحركت وعملت، وسِرْت ومشيت، والعمل النافع يُنْسِي الهُموم، ويُذهِبُ الغموم، ويُشغِلُ بما هو خيرٌ للنفس والبدن، واجعلوا العمل المنزلي والتربوي عملاً مشتركًا ممتعًا، وفي حديث الْأَسْوَدِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها: مَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ -تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» [رواه البخاري].

وهكذا الرياضة المشتركة، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَابَقَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا، حَتَّى إِذَا رَهِقَنِي اللَّحْمُ، سَابَقَنِي؛ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: «**هَذِهِ بِتِيكِ**»

[رواه أحمد (٢٤١١٨) بإسنادٍ صحيح].

١٦. **النظرُ إلى مَن هو أسفلُ منكم؛** فإن ذلك من أعظم أسباب السعادة الزوجية، ومن أعظم أسباب السكون في البيتية، ومن أعظم أسباب السعادة النفسية؛ وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ**».

ولو حصرنا النعم: في كل مساء، لوجدنا أنا في عافية، وأنا في نعم الله تعالى غارقون، وفي بحور عطاياه مُدلجون، ولكن النفس تضيق، والعين تقصر، عدّدوا نعم الله عليكم في بيتكم، ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ**﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وأما النظرُ إلى ما عند الناس فنكدٌ، وغمٌّ، وهمّ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه: ١٣١-١٣٢].

ولنستيقن بأن نِعم الدنيا كلها قليلة، قليلة بالنسبة لنعم الآخرة، وقليلة وقتها بالنسبة لدهرية وسرمدية وأبدية نعيم الآخرة، قال الله سبحانه: ﴿**وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ**﴾ [القصص: ٦٠].

١٧. **الاهتمام بزينة الحياة الدنيا،** وهم الذّرّيّة، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وهم ابتلاء أيضًا، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٤-١٦]؛ فينبغي الحرص على تجاوز هذه المحنة بقلبها إلى محنة؛ فاهتموا بأولادكم، وذرياتكم؛ فهم زينة الحياة الدنيا، وهم آثاركم بعد مماتكم، تبقونه لأنفسكم، وإياكم والافتتان بها؛ فتطيعونهم في الحرام، وتتركون لأجلهم الفرض والواجب أحيانا أو على الدوام.

واعلموا أن خير ما تكنزون لدنياكم وأخراكم الأولاد الصالحون، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» [رواه مسلم].

وإنما خصّ الولد الصالح لأمرين: **الأول**: أنّ الصالح أجدرُ أن يدعو، وأن يُكثرَ من الدّعاء، وأنْ لا ينسَ والديه. **الثاني**: أن دعاءه أجدرُ وأقرب للاستجابة.

١٨. **الدعاء؛** فإنه من أعظم أسباب السعادة، أَكْثِر من هذا الدعاء الوارد في دعاء الصالحين، لتحصل الفرقان، وتكون من أهل السعادة في الدنيا وفي الجنان: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]؛ ومن فُتِح له بابُ الدّعاء فقد لاح له

السعادة، ووجد في رفع اليدين لذة، وفي مخاطبة ربه أُنسًا، وفي الإلحاح على ربه رِفعة، وفي الثناء على مولاه قربة، وفي إظهار فقره مَعزّةً.

١٩. **تسلّي النفس بما للمؤمن في الآخرة:** قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]، وقال سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].

٢٠. **جلسة مصارحة، وساعة فضفة:** هذه الجلسة مهمة لإخلاء النفوس من خباياها، وهي ساعة مهمة لإجلاء القلوب مما في زواياها، وضمن هذه الساعة الاستماع للأحاديث الجانبية، وأخذ المشورة في الأمور المهمة أو الثانوية، وفي هذه الجلسة يكون التركيز على ما به تمام البنيان، وقوة العمران، وزيادة المودة والحبّ بين الزوجين والأولاد، ومن المأثور في هذا ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسًا معها؛ فتحدثت معه بحديث أمِّ زرعٍ، وهو حديثٌ طويلٌ، ولكنها جلسة عظيمة، تنبئ عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وجلوسه مع أهله، والاستماع لفضفضة زوجته، ولولا الإطالة لذكرتُ الحديث بطوله، وإنما أورد هنا وجه الشاهدِ، وارجع إليه لتقف بنفسك على الشواهد، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ أي للنبي

صلى الله عليه وسلم: «جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، قَالَتِ الْأُولَى...» فذكرت الحديث بطوله، ولمّا انتهت قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ» [متفق عليه].

الخاتمة

لا تجعل السعادة الزوجية هدفًا فحسب، بل اجعلها طريقة تسير بها، وتصل بها إلى مرضات الله تعالى...

اجعل كتاب الله تعالى نصب عينك...

وسنة وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حياة تعيش معها...

وما من رجلٍ ولا امرأة إلّا ويجد في رسولِ الله صلى الله عليه وسلم القدوة والأسوة، وبيته أسعدُ البيوتات، وما خلا من الخلافات الزوجية، ولكنها كانت عابرة، والسعادة في بيوتاته هي العامرة، مع ما كانوا فيه من مَسْكنةٍ، وضيقِ ذات اليد، وضيق المساكن؛ لكنهم كانوا سعداء، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: (وَاللهِ -يَا ابْنَ أُخْتِي- إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَارٌ. قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ، فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتِ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ، وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ

لَهُمْ مَنَائِحُ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ) [متفق عليه].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ**» [رواه أحمد بإسنادٍ حسن].

اللهم ارزقنا السعادة الإيمانية، والسعادة الحالية، والسعادة الآجلة، والسعادة الدنيوية، والسعادة الأخروية، وأسعدنا بأزواجنا وأولادنا، وأسعدنا بطاعتك، وأكرمنا بعبادتك، ولا تهنّا بمعصيتك، وأصلح لنا أزواجنا، وذرياتنا، وجيراننا، وأصحابنا، واجعل ما حولنا سعادة وطاعة وبلغة إلى مرضاتك يا ربنا، ولا تجعلنا مع القوم الظالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله رب العالمين.

كتبه: د. محمد هشام طاهـري

دولة الكويت – أدامَ الله تعالى أمنها وإيمانها، وحرسها وولاة أمرها من كل سوء ومكروه، تم الانتهاء من تبييضه صبيحة يوم الخميس (٧/ ٠٣/ ١٤٤٨هـ).